العقيدة الإسلامية
وأثرها في بناء الفرد والمجتمع

للشيخ
صالح بن عبد العزيز آل الشيخ
-حفظه الله تعالى-
[شريط مفرغ]

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته...

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي بعث محمدا بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى ب‍الله شهيدا، وأشهد أن لا إله إلا أهل وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلّم مزيدا.

أما بعد:

فأسأل الله جل وعلا أن يجعلني وإياك ممن إذا أعطي شكر، وإذا ابتلي صبر، وممن إذا أذنب استغفر، وأسأله سبحانه وتعالى أن يعيذنا من مضلات الفتن، وأن يجعلنا من الذين اهتدوا بهداه نعوذ بك ربي أن نضل أو نل أو نزل أو نجهل أو يجهل علينا، الله م فأعذنا.

هذا وإن موضوع هذه المحاضرة موضوع مهم؛ لأنه متصل بـ العقيدة، فعقيدة الإسلام وبيان ذلك أهم وأوجب ما يعلمه؛ لأن بها صحة إيمانه وصحة إسلامه، والعبد بلا عقيدة كالجسد بلا روح؛ لأ ن العقيدة هي أساس قيام الأعمال، فكل عمل ليس على أساس عقدي صحيح فإنه غير مقبول، لأن الله جل وعلا قال لنا ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً﴾ [النحل:97] قال ﴿مَنْ عَمِلَ﴾ ثم قال ﴿وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ فلابد في العمل من أن يكون العبد مؤمنا، ومعنى كونه مؤمنا أن يكون ذا عقيدة صحيح عقيدة إسلامية واضحة التي هي عقيدة الإيمان.

ولهذا قال لنا علماؤنا علماء أهل السنة والجماعة: إن العقيدة الإ سلامية مبنية على فهم أركان الإيمان، فمن آمن بأركان الإيمان الستة وحقق ذلك فقد حقق العقيدة الإسلامية الحقة، وأركان الإ يمان هي أركان العقيدة.

فإذا اعتقد العبد الاعتقاد الصحيح ب‍الله جل وعلا؛ فآمن ب‍الله جل وعلا ربا، وآمن به جل وعلا إلها وحده لا شريك له، وآمن بأسماء الله جل وعلا وبصفاته وأنه سبحانه لا مثيل له في أسمائه

وصفته ولا ند له ولا سمي له وكفؤ به جل وعلا.

وآمن بأنه سبحانه أرسل رسلا، جعلهم هداة إلى الخلق هداة إلى الخلق إلى الله جل وعلا.

وآمن بالملائكة وآمن بالكتب وآمن باليوم الآخر وآمن بالقدر وخيره وشره من الله تعالى فإنه على خير؛ لأن هذه الأركان أركان الإيمان هي أساس عقيدة الإسلام.

لهذا إذا قيل لك ما هي العقيدة؟ فقل العقيدة هي أركان الإيمان الستة، فأركان الإيمان الستة فأكان الإيمان الستة من فهمها وفهم تفصيل الكلام حولها علم العقيدة الإسلامية ولهذا بنى علماؤنا رحمهم الله تعالى بيان العقيدة الإسلامية بيان عقيدة أهل السنة و الجماعة على ما دلت عليه النصوص، بنوها على أركان الإيمان الستة، وما يتصل بذلك من مباحث كما سيأتي مبيّنا إن شاء الله تعالى.

لهذا أؤكد على أهمية دراسة هذا الموضوع، وأن كل واحد منكم يعتني بالعقيدة يعتني بها حفظا ويعتني بها تعلما ولا عيب على كبير أن يجلس إلى أهل العلم يتعلم العقيدة بجميع ما في أركان ا لإيمان من مباحث؛ لأن هذا معه النور في القلب، وكلما قويت العقيدة قوي النور في القلب؛ لأن حقيقة العقيدة هي تعقد عليه القلب من المعلومات، من الأخبار، من استسلامك لله جل وعلا؛ لأن الإيمان بالله جل وعلا وبملائكته وكتبه ورسله وباليوم الآخر وبالقدر خيره وشره من الله تعالى، هذا إذا آمن به العبد فقد عقد قلبه على أمر صحيح لا غلط فيه، وأما إذا لم يعقد قلبه في الله جل وعلا على معتقد صحيح، إما من جهة استحقاق جل وعلا للأ لوهية وحده، وإما من جهة نفي بعض الأسماء والصفات أو تحريف ذلك، وعدم الإسلام لما دلت عليه النصوص، أو قد العقل على كلام الحق فإنه لم يحقق الإيمان بالله.

كذلك إذا لم يؤمن بما جاءت به النصوص في الكلام على اليوم الآخر وأجرى ذلك على ظاهره لأنه أمر غيبي، فإن قلبه لم يعقد

على الإيمان عقدا صحيحا.

ولهذا ترى أن كثيرا من أهل العلم يعبّرون عن العقيدة والإيمان بمثل هذا الموضع بقولهم: هذا عقد الإيمان. يعني هذا الذي يكون المؤمن معه عاقدا قلبه عليه.

وإذا عقدت قلبك على علم فإن ذلك معناه المحافظة عليه بشيء لا ينفك على القلب.

لهذا نعرض لبيان العقيدة الإسلامية بعامة على منهج أهل السنة والجماعة، ومنهج أهل السنة والجماعة مبني على دلالات النصوص ، لهذا بنوا عقيدتهم في أركان الإيمان؛ بل وفي كل الأخبار الغيبية وما يُعتقد بنوا ذلك على الاستسلام للنص، وهذا أصل عظيم مبدئي فارق فيه أهل السنة والجماعة غيرهم؛ لأن الناس في تحديد مصدر الاعتقاد نعتقد بناء على ماذا؟ اختلفوا:

أهل السنة من الصحابة رضوان الله عليهم التابعون لهم بإحسان ومن تبعهم وأئمة الإسلام كالإمام مالك والشافعي وأحمد وسفيان الثوري وسفيان بن عيينة والليث الأوزاعي وإسحاق بن خزيمة وجماعات وابن جرير وجماعات قالوا: العقيدة تبنى على الكتاب وعلى صحيح السنة. يعني على ما ثبت في السنة.

وأما غيرهم قالوا: مصدر تلقي العقيدة الإسلامية يكون بالعقل أولا ثم بالنص ثانيا، فالعقل عندهم يقدم على دلت عليه النصوص لشبهة قامت عندهم في ذلك.

ولكن الحق أنه لا أحد يُخبر عن الله جل وعلا وعن رسوله صَلّى الله عَلَيْهِ وَسَلّمَ ولا عن الملائكة ولا عن الأمور الغيبية أعلم من الله جل وعلا، هل ثم أعلم من الله جل وعلا؟ هل ثم أصدق من الله جل وعلا؟ هو سبحانه أصدق وأعلم من يخبر عنه جل وعلا ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللهِ حَدِيثًا﴾[النساء:87] ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللهِ قِيلاً﴾[النساء:122]، فالله سبحانه وتعالى يجب أن نستسلم لخبره، فما أتانا منه جل وعلا من الأخبار فهو المصدق، كما قال سبحانه ﴿وَتَمّتْ كَلِمَتُ رَبّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدّلِ لِكَلِمَاتِهِ﴾[الأنعام:115] صدقا

في الأخبار وعدلا في الأمر والنهي.

فكل خبر أخبر الله جل وعلا به وأخبر به رسوله صَلَّى اللَّه ُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فهو صدق وحق، لهذا أول درجات العقيدة الإسلامية الصحيحة أن تتبين منهج تلقي هذه العقيدة؛ نتلقى العقيدة ممن؟ من شيخ أو نتلقى العقيدة من عقل أو نتلقى العقيدة من بلد؟ العقيدة تُتلقى من مصدر العقيدة وهو كلام الرب جل وعلا وكلام المصطفى صَلَّى اللَّه ُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهذه قضية يجب أن تكون مسلمة عندنا في أي مسألة نعرض فيها للعقيدة، إذا قال لك قائل: هذا هو كذا في أمور الاعتقاد في ألوهية الرب جل وعلا أو في صفاته أو في القدر أو في اليوم الآخر، فقل ما النص؟ ما الدليل؟ لأن هذه الأمور غيبية والغيب هل يخبر عنه بشر؟ لابد أن يخبر عنه من يعلم الغيب وهو الله جل وعلا، أو من أظهره الله جل وعلا على الغيب، كما سبحانه ·{عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا (26) إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِن رَّسُولٍ}·[الجن:26-27].

فإذن تحديد مصدر تلقي العقيدة الإسلامية يجب أن يكون مسلما، وهو كلام الرب جل وعلا، وكلام المصطفى عَلَيْهِ الصَّلَا ةُ والسَّلَا مُ، وما أبردها على القلب، وما أحسنها على القلب، لهذا أجمع أهل السنة والجماعة وأئمة الإسلام على أننا لا نتجاوز القرآن والحديث، أن نُمر ما جاء من الأمور العقدية والأمور الغيبية، وأن لا نتجاوز القرآن والحديث، فإذا جاءنا أحد بشيء من العقيدة بشيء من أمور الغيب بشيء من التصرفات للمخلوقات أو بشيء من أحوال ما لا نرى، فنقول له: ما الدليل على ذلك؟ ماذا قال ربنا؟ ما الذي أعملك؟ كيف عملت هذا؟

الدليل محدد مصدر تلقي العقيدة الكتاب ومقبول السنة يعني و الصحيح سنة المصطفى صَلَّى اللَّه ُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ·{وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ}·؛ يعني في الأخبار، في العقائد، وذلك في الأحكام في الأمر والنهي ·{وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا}·[الحشر:7] عَلَيْهِ الصَّلَا ةُ والسَّلَا مُ.

إذن فمبنى كلامنا على عقيدة الإسلام هو ما دلت عليه الأدلة من الكتاب والسنة.

فإذن هذا الأصل يمشي معنا في كل مسألة نعرض فيها لأمور الاعتقاد.

لهذا نقول أولا: إن العقيدة لما قامت على أركان الإيمان الستة فإن أركان الإيمان الستة جاءت مبينة في الكتاب وجاءت مبينة في سنة المصطفى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ والسَّلَامُ، قال الله جل وعلا ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَـكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلآئِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ﴾[البقرة:177]، الآية وقال جل وعلا ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللّهِ وَمَلآئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ﴾[البقرة:285] وقال جل وعلا ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ آمِنُواْ بِاللّهِ﴾ بل قال في آخر الآية ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِاللّهِ وَمَلاَئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلاَلاً بَعِيدًا﴾[النساء:136]، فذكر أن الكفر بأركان الإيمان أبعد الضلال وذلك لأن هذه الأركان هي هذه الأمور هي أركان الإيمان، وقال جل وعلا في موضع آخر في بيان القدر قال سبحانه ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا﴾[الفرقان:2]، وقال جل وعلا ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾[القمر:49].

فإذن أركان الإيمان الستة دليلها كثير في الكتاب وفي سنة المصطفى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ والسَّلَامُ فقد ثبت في الصحيح صحيح مسلم من حديث عمر رضي الله عنه أن جبريل جاء يسأل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن الإيمان فقال له: يا رسول الله أخبرني عن الإسلام. فقال «الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول اله وأن تقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج بيت الله الحرام» قال: صدقت قال عمر: فعجبنا له يسأله ويصدقه. ثم قال: أخبرني عن الإيمان؟ قال «الإيمان أن تؤمن ب الله وملائكته وكتله ورسله واليوم الآخر وأن تؤمن بالقدر خيره وشره»، وهذه هي أركان الإيمان الستة وقد جاءت في أحاديث متنوعة، وهذه الأركان الستة هي التي ينبني عليها فهم العقيدة،

فلننظر ولنتأمل ماذا يدخل في هذه الأركان الستة من الكلام بما دلت عليه نصوص الكتاب والسنة، نصوص الوحيين العظيمين.

الإيمان بالله هو أعظم الأركان، والإيمان بالله حتى نتكلم عليه ونُفهمك إياه مرتبط بمعنى الإيمان، ما هو الإيمان؟ الإيمان في هذا الموضع المتعلق بالعقيدة نعني به ما تعقد القلب عليه؛ يعني أن تُصَدِّق تصديقا جازما لا ريب فيه بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وهذا التصديق لا بد معه من نطق باللسان حتى يصح، ولابد معه من عمل بالأركان حتى يصح ذلك التصديق، وهو ثمرات العقيدة بعامة، ومنه العمل من مسمى الإيمان، كما أن القول من مسمى الإيمان، والإيمان بالله جل وعلا والإيمان بملائكته إلى آخره، هذا معناه أن تصدّق تصديقا جازما بما دلّت عليه النصوص في الله جل وعلا في ذاته سبحانه وفي صفاته وفي أفعاله جل وعلا وبما دلت عليه النصوص في الملائكة وبما دلت عليه النصوص في الرسل والكتب واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره من الله تعالى.

الإيمان بالله لإفهامك معناه بما دلّت عليه النصوص نقول: الإيمان بالله جاء في النصوص على ثلاثة أنواع:

- إيمان بالله في ربوبيته.
- وإيمان بالله في أولوهيته.
- وإيمان بالله في أسمائه وصفاته.

والإيمان بربوبية الله جل وعلا معناه أن تؤمن بأن الله جل وعلا وحده سبحانه هو الرب؛ هو الذي خلق هذا الملكوت، وخلق السماء، وخلق الأرض، وخلق الناس جميعا خلق المخلوقات التي تراها وخلق ما لم تر كما قال سبحانه ﴿اللهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾[الرعد:16] سبحانه وتعالى وقال أيضا جل وعلا في سورة يونس ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ والأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيَّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللهُ﴾[يونس:31]؛ يعني أنهم أقروا بهذه المفردات من مفردات

الربوبية وأن الله جل وعلا هو الذي يخلق وهو الذي يرزق وهو الذي يحيي وهو الذي يميت وهو الذي يدبر الأمر وهو الذي يصرف الأشياء على ما يريده سبحانه وتعالى، ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن؛ لأنه سبحانه هو الذي خلقها وأمرها إليه يصرّفها كيف يشاء جل وعلا.

فإذن الإيمان بربوبية الله جل وعلا، معناه أن نؤمن بأن الخالق لهذا الملكوت موجود أولا، وهو الذي خلق وحده، وهو الذي ينفذ أمره وحده، ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، وأنه هو الذي يتصرّف هو الذي يغني يشاء ويفقر من يشاء، هو الذي يعطي من يشاء ويمنع من يشاء، أصح هذا وأمرض هذا، رفع هذا ووضع هذا، أعطى الملك من يشاء ونزع الملك ممن يشاء، رفع دولة وخفض أخرى، هو الذي يتصرف في هذا الملكوت كيف يشاء.

لهذا المؤمن بربوبية الله جل وعلا يرى تصرف الرب جل وعلا في الملكوت ويعلم أن هذا لحكمة عظيمة يعلمها الرب جل وعلا، وحكمة الله سبحانه وتعالى من صفاته سبحانه وتعالى، فهو جل وعلا لا يتصرّف إلا لحكمة يعلمها سبحانه وتعالى.

وحكمة الله جل وعلا معناها أنه سبحانه يضع الأمور التي يدبرها في مواضعها اللائقة بها الموافقة للغايات المحمودة منها.

إذا قلت وضع الشيء في موضعه فهذا عدل، وإذا وضع الواضع الشيء في موضعه ليوافق الغاية المحمودة منه فإن هذا حكمة، و الله سبحانه وتعالى فيما يتصرف فيه في ملكوته هو الذي يتصرف وحده، أمره نافذ ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن سبحانه وتعالى.

إذا تبين لك ذلك وعلمت أنه سبحانه هو المتصرف، فانظر إلى ثمرة هذا النوع من الإيمان الموضوع، نقول إيش موضوع المحاضرة:

العقيدة الإسلامية وأثرها على الفرد وعلى المجتمع

من آمن بـالله ربا وأنه هو المتصرف وهو المعطي وهو المانع،

فماذا سيحدث في قلبه إذا آمن بربوبية اللّٰه جل وعلا على هذا النحو الكامل، سيعظم في قلبه أولا محبة الرب جل وعلا؛ لأنه يرى ربه سبحانه وتعالى هو المتصرف في هذه السموات وفي هذه الأ راضين، فيعظم محبته وتعلقه باللّٰه؛ لأنه تعلق بالقوي الأقوى، ولهذا جاء في الأثر أن المؤمن لو كادته السموات والأرض لجعل اللّٰه له من بينها مخرجا.

واعلم أن الأمة اجتمعت على أن يضروك بشيء لن يضروك بشيء إلا بشيء قد كتبه اللّٰه عليك، ولو اجتمعوا على أن ينفعوك بشيء فلن ينفعوك بشيء إلا بشيء قد كتبه اللّٰه لك رفعت الأقلام وجفت الصحف.

الإيمان بربوبية اللّٰه جل وعلا وأنه هو المتصرف في هذا الملكوت يثمر في قلبك التوكل عليه جل وعلا، يثمر في قلبك تفويض الأمر إليه سبحانه وتعالى، فالأمة بل الفرد أولا المؤمن ب اللّٰه جل وعلا ربا إيمانا كاملا فهو مفوّض أمره إلى اللّٰه جل وعلا، كما قال العبد الصالح ﴿وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ [غافر:44]، وكما قال شعيب ﴿وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾[هود:88]، تتوكل على اللّٰه جل وعلا، تفعل الأسباب التي جعلها اللّٰه جل وعلا أسباب لحدوث المسببات، تفعل العلل التي جعلها اللّٰه جل وعلا عللا لمعلولاتها، وتفوض الأمر إلى اللّٰه، تتوكل على اللّٰه؛ لعلمك أن هذا الملكوت لا يحدث فيه شيء إلا بإذن الرب جل وعلا ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا﴾ إذا نظرت إلى ورقة تتقاذفها الرياح ف اللّٰه جل وعلا يعلمها ﴿وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾[الأنعام:59]، سبحان الرب وتعالى وتقدس، فما أعظمه وأجله جل وعلا عما يقول الظالمون علو كبيرا.

إذن الإيمان بربوبية اللّٰه جل وعلا له أثر على قلب العبد، له أثر على قلبك إذا أعطيت شكرت، وإذا منعت تعلم أن المنع من اللّٰه

جل وعلا وأن الله ابتلاك، فلتكن إذن فيما أعطيت إياه ممن إذا أعطي شكر، وفيما منعت منه ممن إذا ابتلي ومنع صبر، وهذا حقيقة الإيمان بالله جل وعلا ربا؛ لأن المؤمن بالله جل وعلا ربا دائما قلبه مطمئن بالله جل وعلا.

لهذا سئل بعض السلف: من الصادق في الإيمان؟ من الصادق في إيمانه؟ قال: الذي لا يحركه زيادة عطاء ولا منع عطاء.

من الصادق في إيمانه بالله جل وعلا؟ الذي لا يحرّكه زيادة عطاء ولا نقص عطاء، لعلمه بأن الله جل وعلا هو الذي بيده كل شيء، فمن إذا أعطي فرح في الأرض بغير الحق، وإذا ابتلي قنط ويئس وظن الظنون، وشك الشكوك، فهذا ما حقق الإيمان الكامل بالله جل وعلا ربا، وثمرة الإيمان بالربوبية يطول الحديث عنها وهي من المهمات التي ينبغي لكم أن تتأملوها في القرآن، كلها في القرآن، لهذا يكثر في القرآن ذكر صفات الربوبية، لم؟ حتى تؤمن وإذا آمنت اطمأننت صار قلبك سليما، صار قلبك متعلقا بالله جل وعلا لا ترى الخلق شيئا.

النوع الثاني من الإيمان: الإيمان بتوحيد الرب جل وعلا في إلهيته، الإيمان بإلهية الله جل وعلا، وهذا النوع من الإيمان هو الذي من أجله بعثت الرسل، ومن أجله أنزلت الكتب.

لأن الإيمان الأول بالربوبية يعني بأن الله وحده هو الرب و المتصرف والخالق والرازق والمعطي والمانع أدركه الجاهليون وأدركه الناس لما يرون من آثار صنعة الله جل وعلا، يرون السماء وعجائب ما فيها، يرون الأرض وعجائب ما فيها، يرى الإنسان تركيب أكله، تركيب جسمه لاشك أنه سيستشكل، يرى أنه جاء بغير اختيار وسيذهب بغير اختيار منه، فليس ثم إلا أن يستسلم للربوبية.

لهذا الربوبية لم تنكرها الأمم، وإنما الابتلاء في هذا النوع الثاني ، لهذا قال لنا ربنا جل وعلا ·{وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُواْ اللّهَ وَاجْتَنِبُواْ الطَّاغُوتَ}·[النحل:36] وقال جل وعلا ·{وَلَقَدْ أُوحِيَ

إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ}[الزمر:65]، {وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ} يعني يا محمد {وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ} من المرسلين والأنبياء {لَئِنْ أَشْرَكْتَ} يعني لئن أشرك الأنبياء أو المرسلون أو أشرك أتباعهم {لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ} وهو أعظم الخلق عَلَيْهِ الصَّلَاةُ والسَّلَامُ فما بعده أولى {وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ}.

إذن فما معنى الإيمان بألوهية الله جل وعلا وحده، معناه أن تؤمن معتقدا جازما في اعتقادك بلا تردد ولا ريب أنّ المستحق للعبادة هو الله جل وعلا، أن المستحق للخضوع والذل والرغب و الرهب فما عنده هو الله جل وعلا، لم؟ لأن مقاليد الأمور بيده سبحانه، فإذن الذي يعبد ويتذلل له من بيده الدنيا والآخرة سبحانه وتعالى أنت تريد مصلحتك في الدنيا ومصلحتك في الآخرة.

إذن تتوجه في العبادة لإله واحد هو الذي يملك هذا الشيء، وهو الرب الواحد الأحد الله سبحانه وتعالى.

فإذن معنى توحيد الإلهية، معنى الإيمان بالله إله وحده دونما سواه: أن توحد الله بأفعالك؛ بصلاتك لا تصلي إلا لله، بصيامك لا تصوم إلا لله جل وعلا، بدعائك لا تدعو إلى الله، وبمفردات الدعاء فلا تستغث إلا بالله جل وعلا، إذا واجهتك كربة فاطرق باب الواحد الأحد {إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ}[الأنفال:9]، أما المخلوق فهو ضعيف مثلك، هو ضعيف {أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ (191) [وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَا أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ][1]}[الأعراف:191-192] أيشركون هذه الأشياء {أَمِ اتَّخَذُوا آلِهَةً مِّنَ الْأَرْضِ} هل الإله يكون من الأرض، إنسان خلق من الأرض، مخلوقات متنوعة أصنام أوثان من الأرض تتخذ إلها من الأرض تعبده وتتوجه إليه وتدعوه وتستغيث به وتذبح له وتتقرب إليه

---

(1) قال الله تعالى في سورة الفرقان الآية الثانية {وَاتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا}.

ويتعلق قلبك به إنكار من الرب جل وعلا ﴿أَمِ اتَّخَذُوا آلِهَةً مِّنَ الْأَرْضِ﴾ قال بعدها سبحانه ﴿هُمْ يُنشِرُونَ﴾[الأنبياء:21]، أهم ينشرون الموتى، أم هم يحيون حتى يعبدوهم؟ هؤلاء ضعاف مساكين.

فإذن التوحيد الإلهية هذا أعظم أنواع الإيمان، لم؟ لأن الابتلاء حصل به، فالقلب قلب الموحد قلب ذي العقيدة الصحيحة يثمر إيمانه بالله الواحد الأحد وأنه هو الرب المستحق للعبادة دونما سواه، يثمر بأنه لا يرجو رجاء العبادة إلا من الله جل وعلا، لا يرجو حصول شيء خائفا راغبا راضيا إلا من الله جل وعلا، لا يخاف خوف السر إلا من الله جل وعلا.

بعض الناس يخاف خوف السر أن يصيبه الولي بمصيبة، بدون أسباب ظاهرة، كما يفعل الرب جل وعلا، أن يصيبه الجني بشيء بدون أسباب ظاهرة، يخاف مثل هذا الخوف -خوف السر-، وهذا من خوف المشركين، كما قال جل وعلا مخبرا عن قول إبراهيم ﴿وَلا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ﴾[الأنعام:80]، ثم قال ﴿وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِاللَّهِ﴾[الأنعام:81].

إذن ما الذي أحق أن يخاف؟ المشرك، أما المؤمن بالله الواحد ا لأحد فلا يخاف إلا من الله.

أيضا أنواع الدعاء هل وحّد الله جل وعلا في الإلهية من إذا جاءته مصيبة ذهب إلى وليّ ميت أو إلى نبي ورغب عنده تفريج الكربات؟ الله سبحانه هو الذي يملك السماوات والأرض، وهو الذي جعل لك من كل هم فرجا، كيف يتوجه العبد في دعائه إلى من دون الله جل وعلا، لهذا أوصى النبي عَلَيْهِ الصّلاَةُ والسّلاَمُ ابن عباس وهو غلام صغير بالتوحيد الخالص، فقال له عَلَيْهِ الصّلاَةُ والسّلاَمُ «إذا سألت فاسأل الله»، إذا سألت فيما لك به حاجة مما لا يقدر عليه المخلوق فاسأل الله وحده، وإذا كان المخلوق يقدر على الشيء فاسأل المخلوق لا بأس؛ ولكن سؤالك للمخلوق على أنه سبب، ولهذا ترى أنه في حياتك -وتأمل هذا- تؤتى من جهة عدم استسلامك لله جل وعلا، تأتي وتطلب من

مخلوق طلبا إما واسطة وإما شيء وإما أنه يعطيك مالا أو يعطيك وظيفة أو إلى آخره ويبقى قلبك متعلقا بوجاهته وبقوته وبسُمعته أو أنه يقدر على هذه الأشياء، وتنسى الواحد الأحد، تؤتى من هذه الجهة.

الذي ينبغي إذا سألت المخلوق فيما يقدر عليه، ذهبت للطبيب ليعمل لك الطبيب عملية، تأخذ دواء إلى آخره، هذه أسباب؛ لكن مسبب الأسباب من؟ هو الله جل وعلا، فهو الذي يلين القلوب ويفتح الموصد من الأبواب لتيسير أمرك فيما جاز سببا.

أما الطلب من الأموات ومن الأولياء ومن المدفونين، فهؤلاء منزلتهم إما إلى خير وإما إلى غير ذلك عند الله جل وعلا، وهم لا يُعْطُون من سألهم لأنهم مشغولون بأنفسهم، مشغولون بأنفسهم، إما أن يكونوا في نعيم فلم يجعل الله لهم أن يعطوا الناس، وإما أن يكونوا في غير ذلك فهم مشغولون بأنفسهم، لهذا قال لنا جل وعلا ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾[الجن:18] نهي، و﴿أَحَدًا﴾ يقول علماء الأصول إنها نكرة في سياق النفي فتعم كل من صدق عليه أنه أحد، كل أحد لا تدعوه.

إذن الذي يقول لنا أدعوا لا بأس أن تدعو الولي، خالف الآية أو ما خالف؟ لا الله جل وعلا يقول ﴿ وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ لاشك، لم؟ لأن دعوة غير الله هي حقيقة الشرك، إذا قيل لك ما الشرك؟ فقل هو دعوة غير الله معه؛ بأنواعها من الا ستغاثة، ومن الاستعاذة، ومن الاستعانة بغير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله، وأشباه ذلك فكل هذه من أنواع العبادة.

القاعدة العامة لهذا النوع من التوحيد أن تؤمن بأن المستحق لكل نوع من أنواع العبادة هو الله جل وعلا وحده، وأن ألوهية الرب جل وعلا ألوهية بحق، وأن تأليه البشر لغير الله فهو بالباطل وبالظلم وبالعدوان، كما قال لنا ربنا جل وعلا ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ﴾[الحج:62]، وفي الآية الأ خرى ﴿وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ الْبَاطِلُ﴾ وكأنه لا باطل إلا هذا،

دعوة غير اللّه والباطل وكأنه لا باطل إلا هو ﴿وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾[لقمان:30].

لهذا يجب علينا أن نحقق هذا الإيمان باللّه جل وعلا إلها وحده دون ما سواه، وهذا معنى كلمة التوحيد لا إله إلا اللّه يعني لا معبود حق إلا اللّه، لاحظ لا معبود حق إلا اللّه؛ لأن الإلهية معناها العبادة لا معبود حق إلا اللّه، هل معنى ذلك أن ثم معبودات غير اللّه جل وعلا؟ نعم، المشركون يعبدون يدعون غير اللّه ويستشفعون بمن لا يملك الشفاعة ونحو ذلك، وهذا شرك باللّه جل وعلا.

لهذا توقن إذْ كنت مؤمنا باللّه جل وعلا إله واحدا أحدا أن كل المعبودات التي عبدت إنما عبدت بالباطل بالبغي بالظلم بالعدوان، وأن المعبود بحق هو اللّه وحده دونما سواه.

فخذ هذه معك: عُبد شيء شجر حجر ولي ملك جني إنسي، من عبد مباشرة حقيقة العقيدة الإسلامية إيمانك بأن هذا المعبود الذي توجه إليه بالدعوة أنه عبد بالباطل وأن عبادته هي الشرك باللّه جل وعلا.

الشرك: منه شرك أكبر، ومنه شرك أصغر.

الشرك الأكبر باللّه جل وعلا هو ترك شيء من أنواع العبادة لله جل وعلا.

أن تذبح لغير اللّه تذبح للولي يأتي آتٍ إلى قبر ولي فيذبح له، هذا شرك أكبر باللّه؛ لأن الذبح لمن؟ الذبح لله؛ إراقة دم، هذه عبودية، عبادة عظيمة، نتقرب إلى اللّه بها في أيام عيد الأضحى، فهي عبادة عظيمة، صرفها لغير اللّه تقربا أو ذكر اسم غير اللّه جل وعلا على الذبيحة، هذا شرك أكبر باللّه جل وعلا.

تارة يكون شرك استعانة وربوبية وتارة يكون شركا في الألوهية وكل منها مخرج من ملة الإسلام ومن العقيدة الإسلامية الصحيحة.

النذر، أنواع الدعاء، ولهذا هذه المسألة تحتاج غلى تفصيل،

فعليكم ببيانها ومزيد إيضاحها بكتاب التوحيد للإمام المصلح و الشيخ الجليل شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه اللّٰه؛ لأنه انشغل بهذه المسألة زمانا طويلا، وذهب إلى علماء في مكة و المدينة والبصرة، ولقي، وحقق هذه المسألة، وكتب للأمة كتابا عظيما اسمه كتاب التوحيد فارجع إليه في بيان هذه المسألة مع شرحه.

القسم الثالث من أركان الإيمان باللّٰه الإيمان بأسماء اللّٰه جل وعلا وبصفاته؛ يعني الإيمان بتوحيد الأسماء والصفات.

ما معنى توحيد السماء والصفات؟ يعني أن نؤمن بأن اللّٰه جل وعلا ليس له مثيل في أسمائه وفي صفاته، فله سبحانه الأسماء الحسنى، وله سبحانه صفات عُلَى جليلة عظيمة ولكن ليس كمثله شيء فهو سبحانه وتعالى متوحد في الجلال بكمال الجمال جل وعلا.

توحيد الأسماء والصفات إيمانك بأن اللّٰه جل وعلا، لا مثيل له في أسمائه وصفاته، لا سمي له، لا ند له، لا كفؤ له جل وعلا.

وأدلة هذا الأصل كثيرة في الكتاب والسنة كما قال جل وعلا ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾[مريم:65]، وكما قال سبحانه ﴿وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الأَعْلَى﴾[النحل:60]؛ يعني له النعت ﴿الْمَثَلُ﴾ في هذه الآية ﴿وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾[الروم:27]، ﴿وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الأَعْلَى﴾ يعني النعت و الصفة العليا ﴿الْمَثَلُ﴾ هنا بمعنى الصفة والنعت وكما قال سبحانه ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾[الإخلاص:1] يعني أحد في ربوبيته، وأحد في إلهيته، وأحد في أسمائه وصفاته لا مثيل له جل وعلا، ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (1) اللَّهُ الصَّمَدُ﴾[الإخلاص:1-2]، يعني الذي تصمد الخلائق في حاجاتها ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾[الإخلاص:3] لكمال غناه سبحانه وتعالى، ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾[الإخلاص:4] فليس له كفؤا جل وعلا، كما قال ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾[الشورى:11].

توحيد الأسماء والصفات كثر كلام الناس فيه؛ لكن الذي دلت عليه النصوص أنه سبحانه له الأسماء الحسنى والصفات العلى ﴿

﴿وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا﴾[الأعراف:180]، ودلت على أن الله جل وعلا له أسماء مختلفة المعنى، وكل اسم مشتمل على صفة غير الصفة التي في الاسم الآخر كما قال سبحانه ﴿هُوَ اللهُ الذي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ (22) هُوَ اللهُ الذي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ المَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[الحشر:22-23] الآيات، وثبت عن النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ والسَّلَامُ أنه قال «**إن لله تسعة وتسعي اسما من أحصاها دخل الجنة**» نسأل الله الكريم من فضله.

في القرآن أسماء كثيرة لله جل وعلا، في القرآن العظيم صفات للرب جل وعلا، أسماء الله وصفاته:

- منها صفات ذاتية.
- ومنها صفات فعلية.

ما الفرق بينهما؟ الصفات الذاتية لله جل وعلا هي التي لا تنفكّ عن الموصوف؛ يعني لا ينفك الرب جل وعلا عن الاتصاف بها.

مثل صفة الوجه له جل وعلا ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾[القصص:88] سبحانه وتعالى، ﴿وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾[الرحمن:27] سبحانه وتعالى.

من الصفات الذاتية صفة الدين لله جل وعلا ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾[المائدة:64]، وقال أيضا جل وعلا ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾[ص:75].

ومن الصفات الذاتية لله جل وعلا الرحمة فإن الله سبحانه كتب الرحمة على نفسه صفة ذاتية لا تنفك الله جل وعلا متصف بهذه الصفة لا تنفك عنه جل وعلا يعني هو في كل حال رحيم جل وعلا.

من صفاته سبحانه الذاتية أن له عينين جل وعلا.

وكل ما جاء في الكتاب والسنة نثبته من الصفات الذاتية ومن الصفات الفعلية على أساس أنه ليس كمثله شيء.

بعض الناس يقول هذه الصفات والأسماء إذا أثبتناها على ما

في الكتاب والسنة هذا يؤدي إلى التشبيه؛ لأنه يصير صفة الرب جل وعلا مثل صفة المخلوق، لله وجه، وللمخلوق وجه، فنقول الذي وصف نفسه بهذه الصفات من؟ هو اللّه جل وعلا، ولما وصف نفسه بهذه الصفات قال لنا ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ جل وعلا، ثم قال ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾.

لماذا خص صفتي السمع والبصر بعد قوله ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾؟ هذه فيها نكتة فائدة عظيمة في توحيد الأسماء والصفات، لم؟ لأن صفتي السمع والبصر مشتركة بين أكثر أو كل المخلوقات الحية بـ الروح.

أنت تنظر إلى النملة ألها سمع وبصر؟ لها سمع وبصر، هل سمع النملة من جهة أذن لها؟ الجواب ما تدري مثلا أو تقول لا.

هل بعصر النملة حينما أبصرت، قولنا إن للنملة بصرا ولها سمعا، معناه أن النملة تدرك المسموعات بقدر ذاتها وتدرك المبصرات بقدر ذاتها.

لكن إذا قيل لك كيف تشبه النملة بالإنسان، الإنسان هو الذي له سمع وبصر، فهل النملة تشبه الإنسان حينما تقول لها سمع وبصر، النملة وضيعة حقيرة بهوى تطير، البعوض كذلك.

المخلوقات الكبيرة؛ الحمار والفيل إلى آخره.

إذن فإثبات صفتي السمع والبصر المشتركة بين المخلوقات إثبات لوجودها، ومعنى السمع إدراك المسموعات ومعنى البصر إدراك المبصرات.

لكن هل سمع النمل والبعوض مثل سمع الإنسان وبصر الإنسان؟ الجواب لا.

هل سمع الطير وبصره مثل سمع الإنسان وبصره؟ لا.

هل سمع الملائكة وبصر الملائمة مثل سمع الإنسان وبصره؟ لا، الملائكة تسمع كلام الرب جل وعلا، إذا أراد اللّه أن يوحي بالأمر في السماء سمع له كجر السلسلة على الصفوان ينفذهم ذلك. يعني الملائكة يغشى عليها فيُفيق جبريل عليه السلام ثم تفيق الملائكة

فتقول الملائكة لجبريل: ماذا قال ربكم؟ فيقول: قال الحق وهو العلي الكبير. ﴿حَتَّى إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾[سبأ:23] سبحانه وتعالى.

إذن قوله سبحانه ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ بعد قوله ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ هذا إثبات وجود للصفات؛ ولكن المماثلة كما أنها منقطعة ما بين مخلوق ومخلوق، فهي منقطعة أعظم الانقطاع ما بين المخلوق وما بين الرب جل وعلا.

فإذن إثبات الصفات للرب جل وعلا إثبات وجود لا إثبات كيفية، ولهذا لا يمكن لمخلوق أن يعلم كيف اتصاف الله جل وعلا بصفاته؛ بل هذا إلى الله جل وعلا سبحانه؛ ولكن نؤمن بوجود هذه الصفات بأنه سبحانه متصف بالسمع، والسمع معروف المعنى، ومتصف بـ البصر وهو معروف المعنى، ومتصف سبحانه بالوجه والوجه معروف المعنى ومتصف باليدين ومتصف بالعينين سبحانه وتعالى على ما يليق بجلاله وعظمته.

وكذلك الصفات الفعلية ربنا وصف نفسه بالاستواء في سبع مواضع من كتابه فقال ﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾[2] وقال جل وعلا ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾[طه:5] وقال سبحانه ﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ﴾[الفرقان:59]، وهكذا في آيات متعددة كلها في إثبات صفة الاستواء الإنسان يستوي، كما قال الله جل وعلا في سورة المؤمنون ﴿فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى الْفُلْكِ﴾[المؤمنون:28]، الإنسان يستوي؛ لكن استواء المخلوق كاستواء الله؟ لا، استواء الله على عرشه أثبته الرب جل وعلا لنفسه، ومعناه أن تؤمن بأن الله علا على عرشه خاصا ولا سبيل إلى إدراك الكيفية.

الذين أوّلوا ونفوا وعطلوا وحرفوا الكلم عن مواضعه لم يقم في قلوبهم من إثبات الصفات إلا التمثيل؛ إلا التشبيه، فلذلك حرفوا وأولوا، قالوا ما يعقل هل الله جل وعلا في كتابه والنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في سنته يوصف بما يشبه به خلقه، لا،

---

[2] الأعراف:54، يونس:3، الرعد:2، الفرقان:59، السجدة:4، الحديد:4.

وصف الله جل وعلا على صفته سبحانه على ما يليق بجلاله عظمته.

ولهذا قال من قال من السلف: كل ما خطر ببالك فالله جل وع لا بخلافه. كل ما خطر ببالك الإنسان تأتيه تهيؤات ويتصور صورة كذا لا الصفات معنى الإيمان بتوحيد الأسماء والصفات أن تؤمن بأن لله جل وعلا أسماء وأن له جل وعلا صفات كما يليق بجلاله وعظمته وأن هذه الصفات على معناها الظاهر منها لكن لا مماثلة بين صفات الله جل وعلا وبين خلقه فسبحانه وتعالى متصف بـ الصفات على ما يليق بجلاله وعظمته.

لهذا من القواعد المتقررة عند أهل العقيدة الإسلامية الصحيحة أن القول في الصفات كالقول في الذات، فكما أنك تؤمن بوجود الله جل وعلا إيمانا مع قطع النظر في الكيفية فكذلك الإيمان بـ الصفات إيمان بوجودها وباتصاف الله بها مع قطع الطمع في الكيفية لا سبيل إلى الكيفية، كل ما خطر ببالك فالله جل وعلا بخلافه سبحانه وتعالى.

إذا آمنا بالأسماء والصفات فما ثمرة هذا على النفس؟ ما ظنكم فيمن آمن بأن الله جل وعلا هو القوي العزيز، ماذا سيكون في قلبه؟ إذا آمن المؤمن بأنه سبحانه وتعالى يعني حقق الإيمان بأن الله جل وعلا من أسمائه الجليل سبحانه وتعالى، وأن من صفاته الجمال، لهذا ماذا يقول لك ابن القيم؟ يقولك لك ابن القيم رحمه الله في نونيته بعد أن ذكر معاني الأسماء ذكر صفة الجمال قال

.... فجمال سائر هذه الأكوان
من بعض آثار الجميل ربها أولى وأجدر عند ذي العرفان

جمال سائر هذه الأكوان بعض آثار صفة الجمال لله جل وعلا، كما أن قوته سبحانه ظهرت آثارها في خلقه، فالقوة التي عندك أثر من آثار قوة الله جل وعلا، النور الذي تراه أثر من آثار نور الله جل وعلا، الرحمة التي ترى الناس يتراحمون بها أثر من آثار رحمة الله جل وعلا، العزة التي في بعض المخلوقين أثر من آثار عزة الله جل

وعلا؛ يعني أن الله سبحانه وتعالى جعل لخلقه من الصفات ما يناسب ذواتهم سبحانه وتعالى، وصفات العبد مخلوقة وصفات الرب جل وعلا غير مخلوقة، هو سبحانه الواحد الأحد، الذي لم يزل الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم جل وعلا.

الجمال؛ يعني نريد أيها الإخوة أن نفتح قلوبنا لمعنى الإيمان بالأسماء والصفات، ترى الجمال اربطه بجمال الرب جل وعلا، إذا كنت يعجبك الجمال فالله جل وعلا هو الذي له الجمال المطلق، ما ترى من جمال المخلوقات، هذه ذرة من ذرة من ذرة إلى آخره من جمال الرب جل وعلا، إذا كان يعجبك قوة في عظيم من العظماء، فأين عظمة الرب جل وعلا وقوته سبحانه وتعالى، إذا تذكرت أن الله سبحانه يعلم السر وأخفى وآمنت بأسماء الله وصفاته، ألا يورث ذلك المراقبة والخوف، قال جل وعلا ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِن قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ﴾[يونس:61]، الله جل وعلا أليس هو الشهيد سبحانه؟ أليس هو عالم الغيب والشهادة سبحانه وتعالى.

السميع البصير الذي يعلم كل مسموع، ويبصر كل مبصر، يبصر ويسمع دبيب النملة السوداء على الصخرة الصماء في ظلمة الليل، هذا ما يجعل العبد يخاف.

إذن الإيمان بالأسماء والصفات عندنا عند أهل السنة والجماعة ليس إيمانا عقليا مجردا كما عند الطوائف الضالة، إيمان معه ثمرة فإذا قصر العبد وغشيته معصية وخلط عملا صالحا وآخر سيئا ضَعُف إيمانه بتوحيد الأسماء والصفات، وضعفت آثار إيمانه فتذكر أناب سريعا، وعظم في قلبه صفة الرب فلجأ إلى الله جل وعلا واستغفره وانطرح بين يديه.

صفة النزول لله جل وعلا «**ينزل ربما آخر كل ليلة إلى السماء الدنيا فيقول هل من داع فأستجيب له؟ هل من سائل فأعطيه؟ هل من مستغفر فأغفر له؟**» ما ظنك بمن آمن بهذه الصفة إذا صلى آخر الليل كيف سيكون شعوره؟ كيف سيكون إيمانه؟ كيف

سيكون شعوره؟ إذا عظم يعظم الشعور بقدر ذلك، وإذا ضعف يضعف بقدر ذلك.

إذن أيها المؤمنون الإيمان بأسماء الله صفاته له ثمراته على الأ فراد ولا شك في صلاح عملهم وفي علمهم بالله وفي صلاح تقواهم وفي أنسهم بالله وفي رغبهم بما عنده تجد في قلوبهم نور، يرون الأشياء لا كما يراها الجهلاء.

لهذا إذا وقفت عند آية إذا مررت بأية فيها ذكر الأسماء و الصفات تأمل لا تعجل ليكون إيمانك بالله جل وعلا قويا.

هذه جملة من ذكر الإيمان بالله، أطلت فيها لأنها هي أهم المهمات في هذا الباب.

أركان الإيمان الأخرى عندنا الإيمان بالملائكة، إيمان بالكتب، الإ يمان بالرسل، الإيمان باليوم الآخر، والإيمان بالقدر.

الإيمان بالملائكة معناه أن تؤمن وتعتقد أن لله جل وعلا خلقا خلقهم لعبادته، وأنهم بأمره يأتمرون، وأنهم عن نهيه ينتهون، وأنهم مشغولون بعبادته لا يعبدون، كما قال سبحانه عنهم في وصف الم لائكة في آيات في سورة الأنبياء قال {لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ}[الأنبياء:27] {لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ} مرسلون يرسلهم الله جل وعلا إلى ما شاء.

من الملائكة من هو موكل بالقطر وكل بالمطر، ترى المطر يأتي إلى بلد ويذهب عن بلد، الله جل وعلا يرسل الملائكة بالرياح يرسلها بالقطر ويعطي بلدا ويمنع بلدا على حسب ما أراد الرب جل وعلا كما قال {وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا}[الفرقان:50] وكما قال {وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا}[المرسلات:1].

الملائكة منهم الموكل بالموت وملك الموت تحته جنود يعملون معه في قبض أرواح العالمين كما قال سبحانه {قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ}[السجدة:11]، وقال في آية الأنعام {حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ}[الأنعام:61]، إذن هو ملك وتحته رسل، سماهم الله جل وعلا رسلا، ما ترى من الأحوال في

الملكوت فالله جل وعلا يأمر به ملائكته وجنوده فيعملون له سبحانه وتعالى وينفذون أمره في خلقه.

الله سبحانه ينفذ أمره بـ(كن) لكن شاء لحمته أن يخلق خلقا لعبادته يجعلهم يأتمرون بأمره ويفعلون ما يشاء لا لحاجته إليهم جل وعلا كما يحتاج الملوك لأعوانهم؛ ولكن لإظهار عبودية الخلائق بأنواعها له جل وعلا.

الملائكة لا يطلبون لا يتوسل بهم، لا يستغاث بهم وإنما هم عباد.

وهذه الموضوعات أنا طرقتها بصفة تناسب الحضور، وإلا فإن عرضها بصفة علمية عميقة يحتاج كما هو معلوم إلى موضع غير هذا.

نقول في الإيمان بالملائكة أن له ثمرات، نعلم أن الملائكة يوحدون الله يسبحونه يأتمرون بأمره فهذا يورث المحبة، فلهذا يجب علينا أن نحب ملائكة الرحمن جل وعلا، فبيننا وبين الملائكة محبة وصلة، الملائكة عند الرب جل وعلا يستغفرون لنا ويحبوننا يحبون أهل الإيمان ونحن كذلك نحب ملائكة الرحمن، كما قال سبحانه في أول سورة غافر ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾[غافر:7]، وفي آية الشورى قال ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الأَرْضِ﴾[الشورى:5].

إذن الملائكة بيننا وبينهم محبة؛ لأنهم عباد لله جل وعلا لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون سبحانه وتعالى.

من الملائكة من هو موكل بأشياء، فنوقن بأنه لم يخن أحد من الملائكة الأمانة، فكلٌ أدى أمانته على ما أمره الرب به جل وعلا، فباطل معاداة أي ملك، وإنما هذه صفة الكفرة ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلآئِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَافِرِينَ﴾[البقرة:98]، من لم يؤمن بالملائكة فهو كافر، ومن عادى ملكا واتخذه عدوا فهو كافر

أيضا.

أيضا من ثمرات الإيمان بالملائكة المراقبة والخوف؛ لأن من الملائكة من هو موكل بكتابة ما تلفظ به، ﴿مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾[ق:18]، فيورث العلم بالملائكة الاستحياء ويورث الخوف وأشباه ذلك وإذا غلط العبد فإنه يسرع بالإنابة والاستغفار حتى يمحى ما كتبه الملك عليه حتى يثبت ما كتبه الملك له.

الإيمان بالرسل قسمان: إيمان إجمالي وإيمان تفصيلي.

الإيمان الإجمالي معناه أن نؤمن ونصدق ونجزم غير مترددين و لا عندنا ريب أن الله جل وعلا لم يترك خلقه هملا؛ بل أرسل إليهم رسلا من البشر، فأبلغوهم رسالة الله جل وعلا، وأن رسل الله جل وعلا هم أكرم خلق الله جل وعلا، وأنه سبحانه وتعالى اختارهم، وأنهم مؤيدون بالآيات والبراهين والمعجزات، فأعطاهم ما أعطاهم من الآيات ما على مثله آمن البشر:

منهم من كانت حجته التأثير في الأمور الكونية.

ومنهم من كانت حجته وبرهانه التأثير في الأمور البدنية.

ومنهم من كان برهانه وحجته ومعجزته في كتابه وهكذا.

ومنهم من ليس له معجزة إلى التحدي العام، إذا استطعتم فافعلوا شيئا.

والإيمان الخاص بالرسل أن نؤمن بكل من سمى الله جل وعلا من المرسلين، فكل رسول سماه الله جل وعلا أو جاء في السنة فنؤمن بأن الله أرسله، وأن الله أرسل رسلا منهم من علمنا بالكتاب والسنة ومنهم من لا نعلمه لأن الله لم يقص علينا خبرهم ﴿وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾[النساء:164].

الإيمان بالرسل أنهم أتوا جميعا بدين واحد وهو دين الإسلام ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾[آل عمران:19]، وقال جل وعلا ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾[النحل:36] ﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾[فاطر:23].

فإذن كل رسول جاء بدين الإسلام العام الذي هو الاستسلام بـ التوحيد والانقياد له بالطاعة والبراءة من الشرك وأهله. هذا دين الإسلام العام الذي جاء به كل رسول، عقيدة واحدة؛ لكن من حيث الشريعة مختلفون، كما ثبت عن النبي صَلَى اللّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال «الأنبياء إخوة لعلات الدين واحد والشرائع شتى» وقد جاء هذا أيضا في القرآن في قول الحق جل وعلا {لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا}[المائدة:48]، ونؤمن بمحمد عَلَيْهِ الصَّلَاةُ والسَّلَامُ وأنه خاتم الأنبياء والمرسلين، ونؤمن بنوح عليه السلام وأنه أول المرسلين، ونؤمن بأولي العزم من الرسل الذين أخبر اللّه جل وعلا بهم في سورة الأحزاب وفي سورة الشورى، ونؤمن بموسى وعيسى وبإبراهيم الخليل عليه السلام وداوود، ونؤمن بهم ونحبهم ونتولاهم {كُلٌّ آمَنَ بِاللّهِ وَمَلآئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ}[البقرة:285].

كذلك نؤمن بكتب اللّه جل وعلا وأن اللّه سبحانه وتعالى أنزل كتبا جعلها حجة على خلقه، ونؤمن إيمان خاصا بالقرآن العظيم، وأنه كلام اللّه جل وعلا، وأن اللّه جعله مهيمنا على الكتب جميعا، كما أخبر بذلك سبحانه وتعال في سورة المائدة.

الإيمان بالرسل والكتب وخاصة الإيمان بالقرآن والإيمان بمحمد عَلَيْهِ الصَّلَاةُ والسَّلَامُ هذا له أعظم الثمرات في حياة الأفراد وفي حياة المجتمعات.

فيجب على من آمن بمحمد عَلَيْهِ الصَّلَاةُ والسَّلَامُ رسولا على من آمن بالقرآن كتابا أن لا يأخذ الأمور العلمية ولا الأمور العملية إلا من القرآن ومن سنة محمد عَلَيْهِ الصَّلَاةُ والسَّلَامُ، وأنّ الحكم إلى اللّه جل وعلا كما قال سبحانه {وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ اللّهُ}[المائدة:49] أحكم بينهم، ليس في القضاء فحسب، وإنما حتى في الأمور التي يختلف الناس فيها، تجادلت أنت وفلان في أمور من أمر العقيدة، الحكم بما أنزل اللّه، لا بما عند فلان وفلان، فـ الحكم في الأمور العلمية وفي المخاصمات وفي الأمور العملية

يجب أن يكون إلى الله جل وعلا إلى كتابه وإلى محمد عَلَيْهِ الصّلا
َةُ والسّلا َمُ إلى سنته.

ثم الإيمان باليوم الآخر أيضا هذا يشمل أشياء، الإيمان باليوم ا
لآخر من أركان الإيمان، ما معنى الإيمان باليوم الآخر؟ تؤمن -يعني القدر المجزئ الذي من لم يؤمن به فليس بمؤمن به فهم كافر- تؤمن بأن الله جل جلاله جعل يوما يحاسب فيه العباد فيجزي المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته، هذا القدر يجب على كل أحد أن يؤمن به فهو ركن الإيمان.

ثم كل من وصله علم يتعلق باليوم الآخر في الكتاب والسنة فهذا يجب عليه أن يعلم ما بلغه مما جاء في الكتاب وفي سنة المصطفى صَلّى اللّه ُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ.

الإيمان باليوم الآخر يبدأ من الإيمان بالموت، والموت مخلوق موجود بانفصال الروح عن البدن الروح لها حياتها والبدن يكون في التراب.

بعد الموت الروح والبدن ليسا كحالتهما قبل الموت، قبل الموت الحياة للبدن والروح تبع للبدن، البدن يتلذذ والروح تتلذذ تبعا لتلذذ البدن، إذا أكلت وشبعت الروح تهدأ، إذا حصلت شيئا فرحت فرح بدنك يعني حصلت شيئا مسرورا في عينك في الكلام أو في كذا البدن يلتذ بما يرى بما يرى الروح تلتذ تبع للبدن.

أما بعد الموت فالحياة وللروح والبدن ولكن الحياة للحياة أصالة والبدن تبع، فتتلذذ الروح ويصل التلذذ بالبدن وتتألم الروح والتألم والعذاب يصل إلى البدن.

فإذن النعيم والعذاب بعد الممات الإيمان به واجب، والإيمان بذلك أن تؤمن بأن الله جل وعلا نعّم المؤمنين وعذب الكافرين، نعّم المؤمنين بتنعيم أرواحهم في الجنة وابدأنهم في قبورهم كما ثبت عن النبي صَلّى اللّه ُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ أنه قال «**نسمة المؤمن طائر يعلق في ثمار الجنة**» أو من ثمار الجنة والبدن أيضا القبر حفرة من حفر النار أو روضة من رياض الجنة بينهما اتصاف

عجيب، لا يعلمه إلا الرب جل وعلا.

إلى البرزخ كله نؤمن به وأنه دار نعيم أو دار عذاب.

ونؤمن بأن الله جل وعلا بعث العباد، وأنه سبحانه وتعالى يأمر أن ينفخ في الصور نفخة فتصعق الخلائق ثم يأمر أن ينفخ فيه أخرى فتستيقظ الخلائق إلى الرب جل وعلا وتسير إلى موقف الحساب.

هاتان النفختان يحصل بينهما أشياء أنبه بأن كثيرين قد ما يعقلون ما في القرآن من ذكر ما يحصل يوم القيامة فلابد من شيء من التفصيل ولو أطلت.

الإيمان باليوم الآخر:

النفخة الأولى هي نفخة الصعق.

والنفخة الثانية هي نفخة البعث.

النفخة الأولى بينها وبين الفخة الثانية أربعون قال عَلَيْهِ الصّلاَةُ والسّلاَمُ «**بين النفختين أربعون**» قال الصحابة لأبي هريرة: أربعون يوما؟ قال: أبيت. قالوا: أربعون شهرا؟ قال: أبيت؛ يعني أبيت أن أقول ما ليس لي به علم، فالنبي عَلَيْهِ الصّلاَةُ و السّلاَمُ قال «**بين النفختين أربعون**» قال بعدها «**وكل شيء يبلى من ابن آدم إلا عجب الذنب**» يعني آخر فقرة أو آخر خلية من خلايا عظام الظهر، كل شيء يبلى من ابن آدم إلا عجب الذنب ومنه يركب الخلق يوم القيامة؛ يعني أن إذا قبرت وتحلل بدنك إذا شاء اله جل وعلا ذلك، يبقى منك بذرة في الأرض، هذه البذرة منها يركب الخلق يوم القيامة كما ثبت في الصحيح أنه عَلَيْهِ الصّلاَةُ والسّلاَمُ قال «**يرسل الله يوم القيامة ماء كمني الرجل منه تنبع الأجسام**» ماء من السماء كمني الرجل هذه البذر هذه البذر تنبت تصبح كالأشجار.

بين النفختين قبل النبات يحصل أشياء إذا قرأت في القرآن ﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ (1) وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ (2) وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ (3) وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ﴾[الانشقاق:1-4]، ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا (1)

وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا}[الزلزلة:1-2]، {إِذَا السَّمَاءُ انفَطَرَتْ (1) وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انتَثَرَتْ}[الانفطار:1-2]، {وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا}[طه:105]، هذه كلها تحصل بين النفختين.

بين النفختين الأرض تتغير {يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ}[إبراهيم:48]، وهو التبديل الأول الذي يدفن وراء الجبال أو يدفن في السهل على رمل الأمر واحد لأن الأرض ستكون شيئا واحدا {وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا}، وما أحسن قول ابن القيم رحمه الله تعالى في نونيته في بيان هذا الأمر قال:

وإذا أراد الله إخراج ال-ورى ... بعد الممات إلى المعاد الث-اني

ألقى على الأرض التي هم تحتها ... والله مقتدر وذو سلط-ان

مط-را غليظا أبيضا متتابعا ... عشرا وعشرا بعدها عش-ران

فتظل تنبت منه أجسام الورى ... مثل النبات كأجمل الرّيح-ان

حتى إذا ما الأم حان ولاده-ا ... وتمخضت فنفاسها مت-دان-ي

أوحى لها رب السماء فتشققت ... فإذا الج-نين كأكمل الشب-ان

بعد ذلك يُنفخ في الصور -هذه أجسام بلا أرواح- فتهتز الجسام تعود روح كل صاحب روح إلى جسده فتهتز الأجسام، فينظر الناس يتلفتون كما قال سبحانه {ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُم قِيَامٌ يَنظُرُونَ}[الزمر:67] {قِيَامٌ} لأنهم نبتوا {يَنظُرُونَ} لماذا قال {يَنظُرُونَ} ؟ لأن الأرض تغيرت هل هذه التي عهدوها {وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا}[الزمر:68]، ثم ينساق الناس إلى مكان الحساب تنصب الموازين والكتب تتطاير والصحف تتطاير يؤتى بالجنة ويؤتى بالنار وينزل الرحمن جل وعلا لفصل الحساب.

فالإيمان باليوم الآخر معناه إيمان بهذا كله إيمان بالصحف إيمان بالنار إيمان بالجنة إيمان بالصراط، كل ما أخبر الله به مما يكون بعد القيامة؛ بل في البرزخ هذا كله من الإيمان باليوم الآخر، فمن علمه ذلك تفصيلا وجب عليه أن يؤمن به.

آخر أركان الإيمان هو الإيمان بقدر الله جل جلاله خيره وشره،

وهذا يطول الكلام فيه يحتاج إلى بيان واسع؛ لكن خلاصته أن معنى الإيمان بالقدر أن تؤمن بأن الله جل وعلا علم الأشياء جميعا قبل وقوعها وقبل كونها، وكتب سبحانه وتعالى مقاديرها قبل خلق السملوات والأرض بخمسين ألف سنة، وأن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، وأنه سبحانه هو الخالق لكل شيء؛ الطاعات و المعاصي كل شيء هو الذي يخلقه سبحانه؛ لأنه لا يجوز أن يقال إن ثمة شيء في أرض الله وفي ملكوت الله لا يخلقه الرب جل وعلا.

معنى الإيمان بالقدر أن نؤمن بأن الله قدر الأشياء؛ يعني عمل سبحانه ما ستكون عليه الأمور أمور المخلوقات المكلفين وغير المكلفين، فعلم ذلك لأنه سبحانه وتعالى علمه أول بالأشياء وكتب ذلك في اللوح المحفوظ، وأن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، لو شاء شيئا لا يشاؤه الله جل وعلا فلن يكون ثم نؤمن بأن الله خ الق كل شيء ومن ذلك الأفعال والطاعات.

يعني صار الإيمان بالقدر على مرتبتين:

مرتبة قبل وقوع المقدر وهو العلم السابق وكتاب الله جل وعلا.

ومرتبة بعد وقوع المقدر أو مقارنة له وهو خلق الله جل وعلا ومشيئته سبحانه.

هنا تنبيه القضاء والقدر يقول: هذا أمر قضاه الله وقدره، ما الفرق بين القضاء والقدر؟ اختلف العلماء في ذلك؛ لكن أقربها إلى القلوب وإلى الأذهان هو أن:

القضاء من الانتهاء.

والقدر من ترتيب الأمور وتقديرها قبل وقوعها.

فالقدر هو مقادير الأشياء قبل أن تقع.

والقضاء إذا وقعت وانتهت صارت قضاء، كما قال سبحانه ﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ﴾[سبأ:14] ﴿فَاقْضِ مَا أَنتَ قَاضٍ﴾[طه:72]؛ يعني اجعله قضاء مبرما وانتهى، القاضي يقضي لأنه ينهي الأمور ويجعلها على نحو ما ظهر له.

فالقضاء هو إنهاء.

نؤمن بالقدر السابق وما يقدره اله علينا، ونؤمن بالقضاء وهو إنفاذ اللّٰه جل وعلا لما قدر سبحانه وتعالى.

إذا تبين لك ذلك فهذا عرض موجز لأركان العقيدة الصحيحة يحتاج منك إلى أن تقبل على تعلمه؛ بأن تقبل على فهمه.

وهذا الاعتقاد كما رأيت له ثمرات في صحة عملك، له ثمرات في صحة إخباتك لربك، له ثمرات في عبوديتك لربك.

وأيضا له ثمرات في المجتمع بعامة، في الأمم، في الدول، فأمة الإسلام لما آمنت بهذا حقيقة وحكّمته وصارت العقيدة مؤثرة في حياتها رأيت ماذا كان عليه حال أهلها.

فنحن اليوم يجب علينا أفرادا ويجب علينا مجتمعات أن نحقق العقيدة الإسلامية في أنفسنا، أن نعلمها أولا علما بينا بأدلتها، وأن لا نتردد ولا نرتاب، ثم نحققها بأنفسنا؛ تظهر الثمرات العقيدة الصحيحة علينا في أنفسنا وفي بيوتنا وفي مجتمعاتنا، فإن في ذلك الطمأنينة والعلم والنور الذي تراه ﴿أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ﴾ يعني بالعقيدة أحييناه بالإيمان الصحيح ﴿أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾ [الأنعام:122]، لاشك لا يستوي هذا وهذا، ﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا لَّا يَسْتَوُونَ﴾[السجدة:18]، هذا الجواب ﴿لَّا يَسْتَوُونَ﴾ مؤمن لا يستوي مع غيره.

أحثكم في ختام هذه الكلمة على الاعتناء بالعقيدة، وعلى أن يكون بالعقيدة ثمرة في حياتك وأن لا تكون العقيدة مجرد أمور قناعية عقلية لابد أن لها أثرا.

في الختام أسأل اللّٰه جل وعلا أن يثيبكم على ما سمعتم، وأن يثبت ما سمعتم في قلوبكم، وأن يمن عليكم بحسن الاتباع، أن يمنّ علي وعليكم بحسن الاتباع والعمل بما علمنا.

اللّٰهم نسألك أن تغفر لنا جميعا، اللّٰهم اغفر لنا ولوالدينا ولأحبابنا جميعا.

اللّٰهم طهرنا من الذنوب والآثام، وارفع درجتنا فإن صفتك يا ربي

المغفرة والرحمة، وصفتنا التقصير والمعصية والغفلة، اللّهم فاغفر لنا جما وارحمنا رحمة واسعة، واجعلنا من الذين رضيت عنهم فأرضيتهم يا كريم.

نعوذ بك أن نضل بعد الهدى نعوذ بك ربي أن نضل بعد الهدى أو أن نزيغ بعدما جاءنا من البينات والهدى.

اللّهم نسألك أن تصلحنا وتصلح مجتمعاتنا.

اللّهم وفق ولاة أمورنا لما تحب وترضى.

اللّهم اجعل ما يستقبلونه من الأيام في الأمن والإيمان والهدى ونصرة الدين والشريعة خيرا مما خلّفوه، واجعلنا وإياهم من الذين يرتفعون كل يوم في درجات الإيمان، يا كريم.

اللّهم وأبرم لهذه الأمة أمر رشد يعز فيه أهل الطاعة ويعافى فيه أهل الغفلة والمعصية ويؤمر فيه بالمعروف وينهى فيه عن المنكر.

اللّهم وارحمنا برحمتك التي وسعت كل شيء.

أعدّ هذه المادة: سالم الجزائري